

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَتَبَ الصِّيَامَ عَلَى أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَجَعَلَ فِيهِ الْخَيْرَ وَالرَّحْمَةَ وَالرِّضْوَانَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، ذُو الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ وَالْهَبَاتِ وَالْإِحْسَانِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَفْضَلُ مَنْ صَامَ، وَأَتْقَى مَنْ قَامَ، وَأَقْرَبُ الْعِبَادِ إِلَى الرَّحْمَنِ، ﷺ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - فَمَنْ اتَّقَى ارْتَقَى ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١).

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٢)، نِدَاءُ الرَّحْمَنِ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ، يُنَادِينَا رَبُّنَا؛ فَيُخْبِرُنَا بِخَبْرٍ مَلُؤُهُ رَحْمَةٌ وَبُشْرَى، أَنَّ الصِّيَامَ مَفْرُوضٌ عَلَيْنَا كَمَا فُرِضَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا، وَكَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لَنَا بِأَسْلُوبٍ فِيهِ تَيْسِيرٌ عَلَى النَّفُوسِ وَجَذْبٌ لِلْقُلُوبِ: صَامَ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَّمِ فَتَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَصُومُوا، وَالصِّيَامُ يَتَحَقَّقُ عَلَى الْحَقِيقَةِ لِمَنْ تَحَقَّقَتْ فِيهِ غَايَةُ الصِّيَامِ، وَغَايَةُ الصِّيَامِ النَّقْوَى، وَالنَّقْوَى صِفَةٌ فِي الْقَلْبِ، يَطْهَرُ أَثَرُهَا فِي حُسْنِ أَقْوَالِ الْإِنْسَانِ وَأَفْعَالِهِ، وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ مَنْ قَالَ فِيهَا: هِيَ الزُّهْدُ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالْمُسَارَعَةُ إِلَى تَأْدِيَةِ اللِّوَاظِمِ، وَقَدْ قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي النَّثَاءِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾ (٣)، فَطُوبَى لِمَنْ افْتَدَى بِهِدَاهُمْ ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ ﴾ (٤).

(١) سورة آل عمران/ ١٠٢.
(٢) سورة البقرة/ ١٨٣.
(٣) سورة الأنبياء/ ٩٠.
(٤) سورة الأنعام/ ٩٠.



عِبَادَ اللَّهِ:

لَقَدْ فَازَ مَنْ رَزَى نَفْسَهُ فَكَانَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ، فَاسْتَنَارَتْ بِصِيرَتِهِ بِالْإِيمَانِ، وَامْتَلَأَ قَلْبُهُ
بِالتَّقْوَى، فَجَرَتْ فِي كُلِّ شَرِيَانٍ مِنْ بَدَنِهِ، فَتَجِدُهُ يَقُولُ خَيْرًا، وَيَعْمَلُ خَيْرًا، وَإِذَا مَسَّهُ طَائِفٌ مِنَ
الشَّيْطَانِ تَذَكَّرَ فَإِذَا هُوَ مُبْصِرٌ، فَتَابَ وَأَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى، وَإِنَّ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ
وَمَحَاسِنِ الْقَوْلِ فِي تَصْوِيرِ أَثَرِ التَّقْوَى عَلَى الْجَسَدِ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: ((أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ
مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)). وَمِسْكِينٌ
ذَلِكَ الَّذِي زَيْنَ لَهُ الشَّيْطَانُ سُوءَ عَمَلِهِ، فَيَقُولُ شَرًّا وَيَعْمَلُ شَرًّا، قَدْ أَلْفَتْ نَفْسُهُ الْمُحَرَّمَاتِ،
وَاسْتَوْطَنْتْ مَوَاضِعَ الشُّبُهَاتِ، وَتَجَافَتْ عَنِ الطَّاعَاتِ، وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ أَوْ ذُكِرَ بِاللَّهِ،
وَسُوسَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ فَقَالَ التَّقْوَى فِي الْقَلْبِ! وَأَيَّنَ التَّقْوَى مِنْهُ وَأَيَّنَ هُوَ مِنَ التَّقْوَى!
بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّقْوَى بُعْدُ الْمَشْرِقَيْنِ! وَلَوْ كَانَ فِي قَلْبِهِ تَقْوَى لظَهَرَتْ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ؛ فَإِنَّ التَّقْوَى
هِيَ نُورُ اللَّهِ ﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ ﴾ (١).

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

يُخْبِرُنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ شَهْرَ رَمَضَانَ أَيَّامٌ مَعْدُودَاتٌ، إِي وَرَبِّي، إِنَّهَا أَيَّامٌ
مَعْدُودَاتٌ، مَا أَسْرَعَ خُرُوجَهَا بَعْدَ دُخُولِهَا! تَكَادُ تَدْخُلُ وَتَخْرُجُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ وَقْتُ
بَيْنَ الدُّخُولِ وَالْخُرُوجِ، وَالْكَيْسُ الْفَطِنُ مَنْ حَسَبَ لِنَتِكَ الْأَيَّامِ الْمَعْدُودَاتِ أَلْفَ حِسَابٍ، فَاسْتَعَدَّ
لَهَا خَيْرَ اسْتِعْدَادٍ، وَاسْتَقْبَلَهَا اسْتِقْبَالَ مَنْ ظَفِرَ بِفُرْصَةِ الْعُمْرِ الَّتِي لَا تَتَكَرَّرُ وَقَدْ طَالَ انْتِظَارُهَا،
فَلَمْ يَتْرُكْ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْخَيْرِ إِلَّا وَلَجَ فِيهِ، وَلَمْ يَتْرُكْ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ يَسْتَطِيعُ فِعْلَهُ إِلَّا
فَعَلَهُ، وَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ صَامَ مَعَنَا الْعَامَ الْمَاضِيَّ وَلَا نَرَاهُ مَعَنَا هَذَا الْعَامَ، وَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ غَابَ
شَخْصُهُ وَبَقِيَ ذِكْرُهُ وَأَثَرُهُ، فَتَجِدُ مَكَانَهُ وَمُصْحَفَهُ وَصَلَاتَهُ وَصَدَقَتَهُ وَفِعْلَهُ الْخَيْرَ وَقَوْلَهُ الْحَسَنَ
شُهودًا لَهُ؛ فَكَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ لِسَانَ صِدْقٍ لَهُ فِي الْآخِرِينَ، ذَهَبَتْ أَعْمَارُهُمْ، وَجَاءَتْهُمْ آجَالُهُمْ " فَمَا
أَقْرَبَ الْقَاصِي إِلَى الدَّانِي".



وَلَنَعْلَمَ - عِبَادَ اللَّهِ - أَنَّ الْقُلُوبَ أَقْرَبُ مَا تَكُونُ إِلَى اللَّهِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَتَرَى الَّذِينَ اهْتَدَوْا يَزِدَادُونَ هُدًى؛ فَيَزِيدُونَ فِي فِعْلِ الْخَيْرِ، أُسْوَتُهُمُ الْحَسَنَةُ فِي ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ فَقَدْ ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ)). وَتَرَى مَنْ كَانَ عِنْدَهُ تَقْصِيرٌ قَبْلَ رَمَضَانَ أَوْ حَادٍ عَنِ الطَّرِيقِ يَقْتَرِبُ شَيْئًا فَشَيْئًا إِلَى الصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَفِعْلِ الْخَيْرِ، فَكَانَ حَرِيًّا بِهِ أَنْ يَسْتَمِرَّ، فَإِنْ لَمْ يَقْتَرِبْ فِي رَمَضَانَ فَمَتَى يَقْتَرِبُ! وَإِنْ لَمْ يُكْفَرْ عَنْ ذَنْبِهِ فِي رَمَضَانَ فَمَتَى يُكْفَرُ عَنْهُ! وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ، ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ)).

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَعْفِرْ لَكُمْ، إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ، إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتَّبَاعِهِ وَمَنْ وَالَاهُ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاعْلَمُوا أَنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ شَهْرُ الْقُرْبِ، وَفِيهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا لَا يَكُونُ فِي غَيْرِهِ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١)، وَأَيُّ بَيَانٍ بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ الَّذِي يُخْبِرُ اللَّهُ فِيهِ أَنَّ حِيَاةَ الْخَيْرِ تَكُونُ لِمَنْ صَامَ! وَفِي الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ إِذَا كَانَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ((يُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ))، وَلَمَّا كَانَ الصَّحَابَةُ الْكِرَامُ أَعْلَمَ النَّاسِ بِفَضْلِ شَهْرِ رَمَضَانَ كَانُوا يَبْدُؤُونَ بِذِكْرِهِ وَالِاسْتِعْدَادِ لَهُ قَبْلَ دُخُولِهِ بِسِنَّةِ أَشْهُرٍ؛ فَقَدْ كَانُوا يَسْأَلُونَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ أَنْ يُبَلِّغَهُمْ شَهْرَ رَمَضَانَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَيَسْتَمِرُّونَ عَلَى ذَلِكَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ وَجُمَادَى الْأُولَى وَجُمَادَى الْآخِرَةِ وَرَجَبٍ وَشَعْبَانَ؛ فَيَقُولُونَ بِقُلُوبٍ خَاشِعَةٍ لِلَّهِ: "اللَّهُمَّ بَلِّغْنَا شَهْرَ رَمَضَانَ"، فَلَنَكُنْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ، نَنَلْ رِضَى اللَّهِ، وَنَكُنْ مِمَّنْ أَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا



الْأَنْهَارُ، فَإِنَّ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿ وَالسَّيُّوَاتِ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١).

هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ الْأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٢).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعِنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمَعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَعِيثُ إِلَّا تَكَلَّنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصْلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزِّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.



اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثَمَارِنَا
وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ
قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

